# التغيرات الأدبية

## في العراق في النصف الاول من القرن العشرين

الدكتور فائق مخلص

يجمع الباحثون ان البلاد العربية ظلت ولقرون طويلة ترزح تحت نير الحكم العثماني يخيم عليها الجهل والتخلف ، وقد عزلهم ذلك الوضع عن المشاركة في بناء الحضارة التي اسهموا من قبل في ارساء بنائها .

ومنذ بدية القرن العشرين وحتى يومنا هذا ظل الادب العربي يتطور متأرجحا بين القديم وبين الجديد الوافد من اوربا حيث ابتدأت عملية التغيّر .

وقد اتسمت مراحل التغير بدرجات مختلفة من الاخذ فقد كانت الترجمة تلعب أحيانا دورا مهما ، وكان الاقتباس والتأثر الفردي بالمحاكاة للنماذج او الافكار الغربية يلعب دورا اخر كان له نفوذه الفعال على دخول الفنون والاشكال والقواعد الجديدة التي تخالف الموروث من ادبنا بجميع انواعه .

لقد شهد هذا التأثر والتغيّر صراعا حادا بين المحافظين وبين المجددين ، ويرجع السبب من جهة الى الاعجاب المتزايد بالحضارة الاوربية والافتتان بفنونها ومبتكراتها الجديدة ؛ ومن جهة اخرى اشفق المحافظون على الادب القديم وخافوا عليه من الضياع والتلاشي امام تيار الحضارة الاوربية الجارف .

ان التغير الادبي الذي شهدته الساحة الادبية العراقية في فترة ما بين الحربين العالميتين هو في الواقع حصيلة الصراع بين الوافد الاوربي والموروث القديم ومحاولات التوفيق بينهما .

ومع التطلع الى الغرب والتفاعل مع الجديد من مصر والشام ( اللذين سبقا العراق في الانفتاح على الغرب ) اخذ الادباء العراقيون

---

★ رئيس معهد البحوث والدراسات العربية بالانابة ـ بغداد

يحسون بان الذي بين ايديهم من الادب القديم لا يسعف حاجتهم ولا يشفي تعطشهم الى الجديد ، وبخاصة ذلك الجيل الذي امتلك ناصية احدى اللغات الاجنبية او الذين كان في استطاعتهم الاطلاع عن طريق الترجمة على نماذج مستحدثة لم يسمعوا عنها من قبل ·

وقد افادتهم هذه النماذج في تغيير الاشكال والمضامين في الشعر كما افادتهم في الابتعاد عن الحكايات والاساطير وادب السير في مجال القصة والجهود المسرحية ·

ان هذا التوجه بحد ذاته يمثل نقلة هامة الى اطوار فنية لها قواعد واصول وسمات جديدة ·

كانت الحياة العراقية في أعقاب الحرب العالمية الاولى تتقدم الى أمام في جميع مجالات العلم والادب والعادات والسلوك وقد ترتب على ذلك تغير في طبيعة الحياة اليومية للناس ، وهذا بدوره ادى الى تغير في الحساسية الفنية وفي الاذواق عامة · وتنعكس هذه المظاهر في أشعار رواد هذه الفترة ، كالرصافي والزهاوي ، أو في القصص والمسرحيات التي ظهرت خلال هذه الفترة · ولعل اقبال الناس على قراءتهم آن يكون دليلا على تغير هذه الحساسية وتذوق الناس بشكل عام · « وكل ذلك اوجد قلقا اجتماعيا وسياسيا عاما ، انعكست على الادب بكل قوة ولذلك نجد ان النزعة الاجتماعية والسياسية صارت اقوى النزعات التي وجهت الادب الحديث في العراق في ميادين الشعر والقصة والمسرحية »(١) ·

ان هذا البحث محاولة لرسم خريطة عامة تتوخى قدر الامكان ابراز الملامح العامة للتغير الادبي في العراق والاتجاهات التي تمخضت عنها في مجالات القصة والمسرحية والشعر ·

## القصة :

التغير الذي طرأ على القصة الحديثة في العراق ( التي سجلت بداياتها الجادة في أعقاب الحرب العالمية الاولى ) جاء متواشجا بين التراث الشعبي الضخم ( المتمثل بالحكايات والاساطير وادب الرحلات « وسوالف » العجائز ) وبين الجديد المترجم الوافد من الغرب · ان هذا التواشج يمثل ظاهرة فريدة من نوعها في التفاعل بين القديم والجديد في

---

(١) د · جميل سعيد : التيارات الادبية الحديثة في العراق ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٦

# التغيرات الادبية في العراق

الادب العراقي ، سواء في القصة او المسرحية او الشعر ، وبخاصة اذا ما قورنت الحال بما كانت عليه في مصر مثلا والتي بهرها الغزو الثقافي الاوربي السريع،والذي يصفهأحد الباحثين المصريين المعاصرين قائلا:«والمظهر البارز الذي يسود الطابع الثقافي لهذا العصر يتمثل في انقطاع الصلة بين ثقافة العصر وبين التراث الاصيل للثقافة العربية الكلاسية في شتى مجالاتها الفكرية والادبية من ناحية وانقطاع الصلة بينها وبين جماهير الشعب من ناحية اخرى »(٢) .

وعلى اية حال ينبغي الاعتراف بان الاثر الاجنبي كان له الحظ الاوفر في التاثير على القصاصين العراقيين في أعقاب الحرب الاولى وعلى الاجيال التي أعقبتهم . ويبقى علينا في هذا البحث الموجز ان نتقفى هذا التغير والتاثر وابعاده والكشف عنه قدر المستطاع وكذلك قيمة هذا الاخذ من الادب الاوربي ومقداره .

القصة العراقية بمفهومها الفني الحديث تعتبر نوعا ادبيا جديدا جاءت به الينا رياح التغير والتاثر بالفن القصصي الاوربي . يقول الباحثين العراقيين « لما جاءت القصة الغربية بواسطة الترجمة لم تقدر أن تقف وحدها دون ان تؤثر فيها البيئة العربية فاضطر الكتاب الى أقلمة هذا الجديد وان بقي في ثوب غربي واطار أجنبي ... واخذ الفن القصصي يتطور عندما كثرت المجلات واخذت تنشر القصص وتعنى بها ، وكلما تقدم الزمن يكثر الكتّاب ويتبارون في كتابتها ويطورون مفاهيمها ومضامينها ... ووجدنا بعض الكتاب قد استوعب جوانب القصة في الغرب وجاراها وحاول ان يكون انتاجه مثل الانتاج الغربي ولكنه بقي عربي الوجه واليد وان كان غربيّ التبرةواللباس »(٣) .

لقد وصلت القصة الغربية الى العراق بعد ان قطعت شوطا بعيدا من التطور والاكتمال ، ولعل التاثر بمصر في بداية الامر كان اقوى من الاعمال التي ترجمها رواد الترجمة العراقية . يقول الباحث والصحافي العراقي الشهير توفيق السمعاني ، ( رئيس نادي التهذيب الذي تاسيس في مطلع العشرينات من هذا القرن بمدينة بغداد ) : « وقد كانت القصة من الافكار التي ازمعنا على نشرها في ( جريدة الزنبقة ) تقليدا للنهضة

---

(٢) د . عبدالمحسن طه البدر : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف ١٩٦٨ ص ١٣

(٣) د . يوسف عزالدين : القصة في العراق ، القاهرة ١٩٧٤ ص ص٥-٦

المصرية الحديثة التي اخذت في نشر القصة الغربية ، اردنا أن ننسج على منوال الغرب وان نصور الحياة تصويرا اجتماعيا لا خياليا ، وبدانا كتابة القصص وكنا نقلد مصر وكتابها في الدرجة الاولى مثل طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد والمازني ومحمود تيمور وغيرهم »(٤) .

وبدأت صحف العراق في بداية الربع الثاني من هذا القرن تنشر قصصا لدانتي ولافونتين وكورنيل واناتول فرانس وفرانسوا كوبيه وجميس جويس وولتر سافج لاندرز ، ولم يقتصر الامر على الادب الفرنسي والانجليزي وانما تعداه الى الادب الروسي ، فراحت العديد من الصحف مثل الاماني ، والاتحاد ، والرصافة وعطارد ، والوميض تنشر اعمالا ادبية لدستويفسكي وكوكول وتورجنيف وتشيخوف »(٥) .

وبدأت ملامح التغير والتأثر بالقصص الغربي تظهر في اعمال الرواد امثال محمود احمد السيد ، وعبدالحق فاضل ، وذو النون ايوب ، وانور شاؤول ، وآخرين غيرهم . فكانت قصص هؤلاء بدايات مرحلة جديدة لفن جديد .

وقد ابتدأت الترجمة في اول الامر عن اللغة التركية لان المتعلمين العراقيين كانوا محيطين بها بحكم الدراسة والوظيفة . واول المترجمين في هذه الفترة عن التركية معروف الرصافي الذي نقل الى العربية رواية ( الرؤيا ) للشاعر التركي نامق كمال ، وقد فتحت هذه الرواية بابا جديدا للقصاصين العراقيين وينبوعا لا ينضب في قصص الرؤيا . ثم توالت الترجمة من التركية . قام بها القاص محمود السيد والاديب خلف شوقي الداوودي .. وقد التفت المترجمون الى القصة التركية الحديثة لما تحمله من نزعة حرة واتجاه نحو الاصلاح الاجتماعي والسخرية من كثير من القيم والعادات والتقاليد التي تكبل المجتمع التركي وتعوق تطوره(٦) .

وهكذا اتصل جمهور الادباء والمتعلمين بناحية جديدة في الادب لم يعرفها العراقيون من قبل ويمكن ان نلخص هذه الجهود بانها بدائية

---

(٤) يوسف عزالدين : المرجع السابق ص ٦٩

(٥) يوسف عزالدين : فهمي المدرس من رواد الفكر الحديث ص ٦٥ صنة ١٩٦٩ .

(٦) محمود احمد السيد : نزعة من نزعات الادب القصصي التركي هدم للتقاليد البالية ( مقال في جريدة الاستقلال العراقية ) العدد ١٠٩٥ عام ١٩٢٧ .

ولكنها كانت مؤثرة غاية التأثير على القصص العراقي في بواكير نشأته حيث انه بقي يتقفى أثرها واستمرت أعمال القصاصين العراقيين في الاجيال التالية تتجه بملء انظارها اليها ·

اما الترجمة عن اللغات الاوربية فقد تحمّل اعباءها بادىء الامر اولئك الذين درسوا في المدارس التبشيرية المسيحية وقد ترجم الكثير من القصص الفرنسي والانجليزي في أعقاب الحرب العالمية الاولى(٧) ·

وتوالت حركة الترجمة سواء في الصحف او بشكل مستقل او مسلسلات قصصية · وكانت السمات الاولى للقصص المترجمة انها تدعو الى التمسك بالدين والخصال الحميدة في اطار رومانسي يقول الاب الكرملي : « لقد عزمنا ان نتحف قراء الرقيب ببعض هذه الروايات والقصص الاجنبية اطلاعا على آداب الافرنج واقوالهم في هذا الصدد وحثا لابناء المطالعة على تشرب حب الادب والمناقب والمآثر خلال تلك السطور ·(٨)

وقد جاءت الترجمة عن الروسية متأخرة عن الترجمات السابقة بعد ان رأى العراقيون ان الادب الروسي أدب واقعي وان الروائي الروسي لا يخلق للقارىء عالما من الاحلام ثم يدعه يضل بين مجاهله ·· لذلك تأثر الروائيون بهذا الادب فنراهم في رواياتهم يختارون ابطالهم من العمال والفلاحين والفقراء الذين ظلمتهم الانظمة الاجتماعية ، ومن رجل الشارع الذي حرمته الحياة بهجتها فاصبح في الحضيض بينما يرتفع غيره من أصحاب الاموال والبورجوازيين(٩) ·

وبعد رواج القصص المترجم تغيرت نظرة الادباء الى الفن القصصي وفهموا نظريته وقواعده وبخاصة اولئك الذين يجهلون اللغات الغربية فاقبلوا على كتابة هذا اللون الجديد من الادب · يقول الاديب عبدالغني شوقي :

« امّا في الوقت الحاضر ( اواخر العشرينات ) وفي بدء يقظتنا فحري بنا أن نضرب صفحا عن تلك القصص الخرافية القديمة وان ندخل الفن الروائي الغربي الى ادبنا العربي ونترجم الى لغتنا من كبار

---

(٧) عمر الطالب : الفن القصصي في الادب العراقي الحديث ١٩٧١ جـ١ ص ٤٦
(٨) جريدة الرقيب العدد ١٧١١ بغداد ·
(٩) عمر الطالب المرجع السابق ص ٥٠

روايات أدباء الغرب مما يغذي عقولنا ويرقي مداركنا ويوسع افكارنا فان ادبنا بامس الحاجة اليها لكي ينهج ادباؤنا على نهجها .. فيموضوننا عن ذلك النقص الذي اعترى ادبنا قديما كما اننا في اشد الانتظار اليه وعدم الاستغناء عنه »(١٠) .

ولم يكن التأثير الغربي مقتصرا على الترجمة بل لقد تأثرت القصة بمختلف المظاهر والافكار الاوربية الجديدة وعلى مختلف الاصعدة والتي كان لها الاثر البارز في التحول الاجتماعي والثقافي والسياسي ليس في العراق وحسب وانما في عموم العالم العربي .

ويبقى الجهد الحقيقي لهذه الفترة متمثلا في محاولات الاصلاح الاجتماعي التي مهدت للرواية والقصةوذلك بما اتسمت به هذه المحاولات من نظرة واقعية في النظرة وجراة في تطبيق أفكار الحضارة الاوربية على واقعنا ومحاولة لتحرير شخصية الفرد من ناحية وابراز الشخصية العربية من ناحية اخرى(١١) .

والقصة العراقية نشأت في بيئة معينة وواقع اجتماعي معروف وظروف سياسية ونضال انساني من أجل اثبات الوجود مما يعني انها تمثل جزء من حركة الحياة وديمومتها فجاءت مسيرتها على يد الرواد لتكونااللبنة الاولى في صرح القصة العراقية . ان أعمال محمود السيد ، وعبدالحق فاضل وذو النون ايوب وانور شاؤول وخالد الدرة وآخرين كثيرين كانت نقطة انطلاق وتغير لمرحلة ادبية جديدة وفن جديد شاركت عوامل عديدة ـ كما أسلفنا ـ في بلورته وتطوره وكانت الترجمة والتاثر بالادب الاجنبي في قمة العوامل المكونة لهذا النوع الادبي .

اما الموضوعات التي عالجها الرواد فتكاد تكون برمتها واقعية تعالج مختلف جوانب الواقع الاجتماعي والسياسي وقد تجاوبت مع التطور الذي شهده القطر في فترة نضالية ضد التخلف الموروث من عهود التخلف وضدالوجود الاستعماري الجديد المتمثل بالوجود البريطاني ومن ثم الحكم الوطني الذي كان اداة طيعة تتحكم بها أهواء ومصالح بريطانيا .

ولكن العمل القصصي في العراق يبقى برمته في مراحله الاولى ولم

---

(١٠) مقال بعنوان ( مقام الرواية في الادب ) جريدة الفضيلة العدد ٧٥ سنة ١٩٢٧ .

(١١) عمر الطالب نفس المرجع جـ١ ص ٥٢ .

يصل في قيمته الفنية الى المستوى الذي بلغته القصة في مصر وبلاد الشام، ولعل من ابرز أسباب هذه الظاهرة أن القصاصين لم ينصرفوا بكليتهم الى العمل القصصي وحده وانما شغلتهم مشاغل الحياة الوظيفية والصحافية والاجتماعية والسياسية · وقد يكون للجمهور العراقي أثر في هذا الركود النسبي لان الطبيعة العراقية على ما يبدو أميل الى تذوق الشعر ؛ وهي ظاهرة اصيلة وقديمة عند اهل العراق ·

وبعد جيل الرواد جاء جيل الخمسينات فبلغت القصة العراقية مرحلة اكثر تقدما ونضجا نهج دربها قصاصون مثقفون نذكر منهم عبدالملك نوري ، وغائب طعمة فرمان ، وفؤاد التكرلي ، وغيرهم ·

وينبغي الاشارة هنا الى ان الاثر الاجنبي في القصص العراقي بعد جيل الرواد اصبح اكثر وضوحا وانضج تأثيرا ·

لقد زاد الافتتان والاعجاب بالحياة والافكار الاوربية بعد الحرب العالمية الثانية وربما اكثر مما كانت عليه الحال في أعقاب الحرب العالمية الاولى وهذا أمر طبيعي تحكمت فيه عوامل كثيرة لا يمكن لبحث كهذا التطرق اليها · ولكن لابد من الاشارة أن هذا الافتتان الجديد والتفاعل معه قد اثر بصورة اوسع واشمل في عملية التعبير الادبي · ولقد كان من ابرز معالم هذا التغير الخروج على التقاليد المألوفة والمبالغة في تقليد الغرب الى حد العمى احيانا ، وبخاصة عند اولئك القصاصين الذين اعتمدوا في التقليد على مايتلقفونه من المجلات والقصص المترجم دون الغوص في أعماق النتاجات الاوربية التي اصبحت تتطور بسرعة مدهشة فراحوا يلهثون وراءها او يعيّون فيتوقفون ·

ان الغالبية العظمى من قصاصي العراق في أعقاب الحرب الثانية لا تعرف لغة اوربية وان الكثيرين منهم لم ير اوربا او يقض فيها وقتا يمكنه من الوقوف أو التعرف على احوالها وتقصي ثقافتها ولكننا نجد قصصهم ينحو منحى الاوربيين ويحاولون تقفي آثارهم ومذاهبهم وقد فات على ادبائنا أن المذاهب والتوجهات القصصية الجديدة في الغرب انما ظهرت نتيجة عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية فرضت طابعها فرضا على الاشكال والنماذج القصصية الجديدة ·

ولقد غاب عن اذهان القصاصين العراقيين المعاصرين وبخاصة بعد فترة الستينات ان التطور الفني هو وليد حياة ثقافية يتحقق فيها قدر من العلم والرقي العام والاقبال على الحياة بنفس متفتحة ، وان الامم لا تصل الى هذه الحياة الا بعد كفاح شاق ·

وفي ضوء هذه الحقيقة يلحظ الباحث انه بعد جيل او جيلين من بدايات القصة العراقية وارتقائها يعود القصاصون المعاصرون الى التقليد والمحاكاة فبعضهم بالغ في ذلك الى حد الشعور بالضياع والاغتراب ، نعم الاغتراب بالمفهوم الغربي ، والى آخر هذه الموضوعات أو التقليعات الغربية ·

وعلى الرغم من هذا التوجه العام لدى القصاصين الشباب ورغم مخاطره فقد ظهرت نتاجات عند البعض ترتقي الى مصاف القصص العالمي من حيث الشكل والمضمون ، وقد ترجمت بعض تلك الاعمال الى اللغات الحية ، ولكن هذا الجيد يكاد يضيع وسط النتاجات الجديدة الكثيرة التي يغلب عليها الضعف والاعياء ، وقد تؤدي هذه الحال ( اذا استمرت ) بالقصة وكتابها فتذهب بها وبهم وينصرف القراء عنها ، فيستغني بالقصص المترجم وهو كثير ، أو بالمسلسلات العربية أو الاجنبية التي يعرضها التلفزيون الذي بات يتحدى فنون الادب جميعا · اما اتجاهات القصة فقد ظل الطابع الاجتماعي هو الغالب عليها ·

## المسرحية :

قيل ان العراق من أسبق البلدان العربية الى التمثيل وان البويهيين في القرن الرابع للهجرة حاولوا تمثيل مقتل الحسين ، ولكن هذه الجهود وسواها من اعمال تمثيلية لا ترتقي الى العمل المسرحي الاصيل وبالمفهوم العصري · ان الاهتمام في بداية القرن العشرين لم يكن كبيرا بالمسرح والتمثيليات وانما اهتم الناس أولا ومن ثم عني المترجمون بنقل القصص الغربي بانواعه والوانه وقد اشرنا الى ذلك في الحديث عن القصة · وبعد مرحلة بدأت محاولات قام بها بعض الشباب في الموصل يحاكون نماذج أوربية وجعلوا من مسرحياتهم وسيلة للتسلية والوعظ والارشاد والتعليم · ومما لا ريب فيه ان كثيرا من المعاني الجديدة والصور الغربية والخيال الغربي قد بدأت تتسرب الى افكار واخيلة رواد المسرح العراقي وان لم يظهر أثر ذلك واضحا الا في الحقب التالية وبعد الثلاثينات · يقول الدكتور جميل سعيد عام ١٩٥٤ : « فانا اذكر انه منذ خمسة عشر عاما كانت في العراق فرق تمثيلية تجوب بلدان العراق ممثلة بعض المسرحيات ، وكانت تتخذ من المقاهي والمدارس والاماكن العامة مراسح للتمثيل · ومن العجيب ان تضمحل هذه الفرق التمثيلية ، وحسبك ان بغداد وهي عاصمة العراق

لاتجد فيها الان مسرحا عاما للتمثيل ، وكل ما تـراه محاولات اوليـة . يقصد بها الى الهزل وهي هي كما كانت منذ عشرين سنة» (١٢) .

ويعزو الدكتور جميل سعيد الاسباب المؤدية الى انصراف الناس عن المسرح الاستعاضة عنه بالذهاب الى السينما ومشاهدة الروايات غير العربية والعربية التي تنتجها مصر(١٣) . يضاف الى ذلك عدم الاهتمام الكافي بالمسرح من قبل الحكومات العراقية التي سبقت ثـورة الرابـع عشر من تموز عام ١٩٥٨ . كما ان كتابة النص المسرحي كانت عقبـة اخرى في هذا السبيل حيث لم يتوفر من الادباء ما توفر للفن القصصي .

ولعل اقدم نص روائي أعد للمسرح في العشرينات ( الروايـة الابقاطية ) للقاص سليمان فيضي الموصلي . ولكن نص هذه الرواية لم يكن صالحا للتمثيل . على ان أول محاولة جادة نالت استحسان الجمهور واذيعت اكثر من مرة من محطة اذاعة بغداد كانت مسرحية بعنوان ( أنا الجندي ) كتبها عبدالله حلمي سنة ١٩٣٨ ، وهي تقع في نحو مائة صفحة من القطع الصغير وقد لهجت الجرائد بذكرها وذكر الانعام الملكي علـى المؤلف وعممت رئاسة أركان الجيش منشورا على الوحدات العسكريـة كافة تحث الضباط والجنود على مطالعتها . وقدم لهـا مدير الدعايـة والنشر مقدمة أشار فيها الى توجيـه الكتـاب الـى الادب العسـكري وضرورته وعد المسرحية فتحا في هذا الباب . »(١٤)

ورغم ماقيل في هذه المسرحية فانها تمثل بداية طيبة ولكنها ساذجة تفتقر الى الكثير من عناصر الاتقان التي يتطلبها العمل المسرحي .

وتوالت كتابة النص المسرحي بشكل ضيق فظهرت مسـرحيات لسليم بطي وكان أفضل نتاجاته ( طعنة في القلب ) .

وظهرت خلال فترة الثلاثينات مسرحيات شعرية واعتبرت مسرحية عبدالحميد الراضي ( ثورة العراق الكبرى ) من أفضل ما قدم وقد جاءت متجاوبة مع مشاعر الجماهير العراقية لانها تعرضـت لموضـوع الحـرب وثورة العشرين في العراق ضد الانجليز . أما الجانب الفنـي فضـعيف لا يتجاوز الوصف للاحداث بسلسلة غير مترابطة تكثر فيها المشاهـد التي تثقل العمل المسرحي .

---

(١٢) الدكتور جميل سعيد : التيارات الادبية في العراق ص ٥١
(١٣) نفس المرجع ص ٥١
(١٤) جميل سعيد : نفس المرجع ص ٥٤

وهناك محاولات أخرى للمسرح الشعري من ابرزها مسرحية ( مجنون ليلى ) للشاعرة عاتكة وهبي الخزرجي ، وكذلك محاولات عبدالستار القرغولي الذي توجه في أعماله توجها تعليميا توخى تربية الطفل وتثقيفه واستقى موضوعاته من التاريخ العربي الاسلامي . وتعتبر مسرحية ( شمسو ) للشاعر خالد الشواف التي ظهرت عام ١٩٥٢ طفرة في المسرحية الشعرية ، واختار موضوعها من عهود الدولة البابلية المتأخرة ، وهي تعالج قصة حب وقع به ولي عهد المملكة ينتهي بموت الحبيبة وزهد عشيقها بالعرش وتخليه عنه بسبب حزنه وزهده في الدنيا بعد موت حبيبته . يقول الدكتور علي الزبيدي وهو من كبار الباحثين في المسرح العراقي :

« من يتأمل المسرحيات الشعرية العراقية يستطع تصنيفها على قلتها الى أربعة انواع : الاول مسرحيات طويلة متكاملة تجمع بين ابتكار الموضوع وقوة الاسلوب الشعري وجودة التاليف الدرامي وهذا لم يتوفر في نظري الا في مسرحية ( الاسوار ) ( وشمسو ) للشاعر خالد الشواف .والنوع الثاني يتميز بجمال الاسلوب الشعري وبقسط وافر من الاجادة الدرامية الا أن موضوعه يفتقر الى الابتكار لوجود من سبقه اليه ، وخير مثال على هذا النوع مسرحية اصحاب الكهف والرقيم وقيس لبنى للاستاذ خضر الطائي ومسرحية مجنون ليلى لعاتكة وهبي الخزرجي . ونوع ثالث يتراوح بين الجودة والضعف .. ويتمثل في ( ثورة العرب الكبرى ) و ( ثورة العراق الكبرى ) لعبدالحميد الراضي.. أما النوع الرابع فيفتقر الى الخصائص والشروط المسرحية افتقارا شديدا ومنه سمير اميس بين الحقيقة والاسطورة للاستاذ محمد الهاشمي و ( عبث ) لصفاء الحيدري(١٥) .

ان الملاحظ على الجهود والمحاولات المسرحية في العراق في فترة نشوئها وتطورها ان اتجاهها العام وطني تاريخي(١٦) بل ويمكن القول ان اغلب ما كتب في المسرح يستلهم حوادث وقصص من التاريخ العربي الاسلامي يستوحون منها بعض المواقف القومية تثير في النفس الحمية والاعتزاز بالتراث كرد فعل قومي وسياسي واجتماعي بعدما استفحل

---

(١٥) الدكتور علي الزبيدي :المسرحية العربية في العراق ، القاهرة ١٩٦٧ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(١٦) الدكتور انيس المقدسي : الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ص ١٣٥ .

ظلم العثمانيين ومن بعدهم طغيان المستعمرين الانجليز في فترة الانتـ وحتى بعد قيام الحكم الوطني · ان اشهر من يمثل هذا الاتجاه المطران سليمان صائغ ( ١٨٨٦ ـ ١٩٦١ ) الذي ألف العديد من المسرحيات في فترة ما بين الحربين العالميتين »(١٧) ·

كانت الفرق المسرحية الاولى في العراق تجمع شتاتا من الهواة وأنصار التمثيل ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت فرق عراقية كثيرة من الهواة المحترفين(١٨) ·

ويحدثنا الدكتور الزبيدي عن اتجاهات المسرحية العراقية قائلا : « كان من الطبيعي أن يمتزج الاتجاه الاجتماعي بالسياسة لان الظروف الاجتماعية نفسها تحتم هذا الامتزاج وبخاصة في المشاكل التي يكون للاوضاع السياسية دخل مباشر فيها · فراينا المسرحية الاجتماعية المؤلفة بعد الحرب العالمية الاولى قد أضحت ميدانا للتعبير عن الآراء والمذاهب السياسية · وظهر في المسرحية الخط القومي الذي اتجه الى احياء التراث العربي وبعث الاخلاق العربية والتغني بالامجاد العربية والدعوة الى الاهداف القومية · وظهرت بالاضافة الى هذا الاتجاه اتجاهات ومذاهب بدت آثارها واضحة في المسرحيات التي ألفت بعد الحرب العالمية الثانية باقلام عدد من الكتاب اليساريين من شيوعيين وغير شيوعيين فصاروا يعالجون المسرحية الاجتماعية بالاسلوب الذي يمكنهم من حشر آرائهم في ثنايا الاحداث والمحاورات · وكان لهذا الاتجاه الجديد بعض الحسنات والكثير من المآخذ او العيوب الفنية والثقافية · »(١٩)

وبعد الخمسينات ظهرت اتجاهات جديدة في المسرح العراقي كان من روادها يوسف العاني ونور الدين فارس وعادل كاظم ومن المخرجين ابراهيم جلال وجعفر السعدي وسامي عبدالحميد · وقد تاثرت الحركة المسرحية في الفترة بما استجد في المسرح الاوربي من معطيات جديدة خرجت عن المبدأ الكلاسيكي والرومانسي ، وتوقفت الحركة المسرحية عند اجتهادات ابسن وبرناردشو في الدراما الحديثة ·

---

(١٧) علي الزبيدي : نفس المرجع ص ١٠٢ ـ ١١٥ ·
(١٨) احمد رياض المفرجي : الحركة المسرحية في العراق · بغداد ، ١٩٦٧ ص ٣٦ ·
(١٩) علي الزبيدي : نفس المرجع ص ١٤٨ ·

ثم جاء برخت ليترك بصماته على الحركة المسرحية عند يوسف العاني وابراهيم جلال من حيث التنظير بين المدارس الدرامية والتمثل بالمدرسة التغريبيةالبرختية في بعض المسرحيات نذكر منها مسرحية المفتاح ليوسف العاني والبقرة الحلوب لطه سالم وأشجار الطاعون والبيت الجديد لنورالدين فارس ·

وبرز عادل كاظم في الستينات فوظف الاسطورة الشعرية في عدد من مسرحياته انطلاقا من مفهومه المسرحي القائم على اعتماد الاسطورة الشعبية كاطار عام يتفاعل مع المسرح ويعالج الاحداث الآنية بمنظور حساس ·

اما جاسم العبودي وهو من جيل الخمسينات فقد ظل ينهج نهجا قوميا في المسرح من خلال اعتماده على الموروث العربي وخاصة في المسرح التاريخي والسبب في ذلك انه اراد التاكيد على استمرار الاتجاه القومي في المسرح العراقي أسوة بما فعله الرواد ؛ ولعله تشبث أكثر فأكثر بهذا لمواجهة المد الجديد في المسرح العراقي الذي طغت عليه الظاهرة الاوربية ·

## الشعر :

ظل الشعر العراقي وحتى اوائل القرن العشرين مسايرا للانماط القديمة ويتقفاها تقفيا مشوها يغلب عليه الضعف وظلت موضوعاته تكرارا للموضوعات القديمة وتحاكيها · وفي الربع الاول من القرن العشرين بدأ رواد الشعر العراقي يستلهمون القديم بروح جديدة متفتحة وراحوا يبعثون حياة جديدة في الشعر وينفضون عنه غبار عصور التخلف التي فرضتها السيطرة العثمانية · وكان النهج الجديد يقوم على توجهات هي مزيج من التطلع الى الحرية والاحساس بالشخصية الفردية والقومية · وقد ظهرت علائم هذه التحولات الكبيرة واضحة في الشعر بعد الحرب العالمية الاولى عند الشاعرين العراقيين الشهيرين معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي ، اللذين يمثلان بداية عصر جديد في الشعر العراقي · كلا الشاعرين اطلع على الثقافات الاجنبية وتعمق فيها من خلال اتقانهما اللغة التركية وقضائهما وقتا طويلا في تركيا للدراسة والوظيفة وشهدا النهضة الجديدة التي اعقبت صدور الدستور العثماني ·

ان النزعة الغالبة على شعر الشاعرين هي النزعة الاجتماعية وقد

كشفا الكثير من جوانب المجتمع العراقي واوضاعه المختلفة · وبقي التيار الذي اقتفياه هو الغالب على معاصريهما وعلى من جاء بعدهما من الشعراء ·

وظهر في الاربعينات وما بعدها تيار اخر ينظر الى تغيير الواقع الاجتماعي بالثورة وهذا ما نلحظه عند الشاعر محمد صالح بحر العلوم الذي يتحدث شعره بأسلوب جديد عن الطبقات وليس عن افراد بعينهم ولعل توجهه السياسي وكونه شيوعيا قد دفعه الى طريقة هذا التناول للمشاكل الاجتماعية · ويسير شاعر اخر اكثر نضجا من سابقه وهو محمد مهدي الجواهري باتجاه ثوري أشد اندفاعا ويعلن سخطه على الحكام ويحرض الجماهير على الثورة ·

وهناك في الطرف المقابل التيار القومي الذي برز فيه الشاعر عدنان الراوي ، وكان اغتصاب فلسطين هو الدافع الاول الى هذا التوجه الجديد · اما موضوعاته فتتناول بالاساس الحرب والتحرير وتتناول موضوع اللاجئين ·

وتيار آخر عبثي تحللي كان من رواده الشاعر حسين مردان في كتابه قصائد عارية طبعها في بغداد عام ١٩٥٠ ويقول في رسالة له : « لقد اردت ان انتقم من نفسي ومن المجتمع واحطم كل ما ينوء به الناس من مُثُل وقيم ·· يا زبانية السعير فمنذ اليوم سيبدأ نضالي ضد الخير ، وها أنا ارفع وجهي الجامد بكل هدوء لاودع السماء ببصقة سيبقى رذاذها يرن في سمع الوجود الى الابد »(٢٠) ·

اما من حيث الشكل فان المحاولات الاولى في تغيير شكل القصيدة قد ظهر في اواسط هذا القرن وراح بعض الشعراء العرب يبالغون في تقليد مذاهب الغرب ومدارسه من رمزية وسريالية ولا معقول والى آخر هذه المذاهب ، ولم تكن الدوافع في الوطن العربي تستدعي تلك التغيرات ولم تتات لها الظروف الناضجة التي ستستقبلها · لقد فات على ادبائنا ان التيارات والمذاهب في العالم الغربي انما ظهرت نتيجة عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية فكانت ولادتها وتطورها من الامور الطبيعية التي فرضتها ظروف التطور السريع في المجتمع الغربي ·

لقد ظهر في الغرب الشعر المرسل BLANK VERSE والشعر الحر

---

(٢٠) عزيزتي فلانة ص ٦

VERSE LIBRE منذ فترة مبكرة · وعلى ما يبدو فان الكثير من شعراء العرب في الثلث الاول من هذا القرن قد راقت لهم هذه الاشكال ، وكان رواد هذا التوجه شعراء من بلاد المهجر ، اذ لم يقتف اولئك الشعراء المهجريين العرب بالثورة على التقاليد القديمة بل وتجاوزها الى العروض والاوزان · كان في طليعة هؤلاء جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وابناء الرابطه القلمية التي ظهرت في نيويورك عام ١٩٢٠ وكانت تضم مجموعة من الذين تأثروا بالادب الغربي وبخاصة الادب الانجليزي · وقامت في اعقاب الرابطه القلميه بعد انهيارها سنة ١٩٣١ جماعة اخرى في سان باولو سنة ١٩٣٢ واطلقت على نفسها العصبة الاندلسية ، وكان من روادها سليم الخوري والياس فرحات وآل المعلوف · وقد حاولت هذه الجماعات الاتصال بالمشرق العربي وقد تحقق الاتصال ووجدوا لهم انصارا بين المجددين في المشرق العربي امثال العقاد والمازني وغيرهما ·

ولكن شعراء المهجر لم يؤثروا في أول الامر على أدباء المشرق من حيث الشكل ولكنهم افلحوا في التأثير على الاجيال التالية وبخاصة في اعقاب الحرب العالمية الثانية(٢١) · ويذكر الدكتور جميل سعيد معقبا : « حدث تغيير في بناء القصيدة عند بعض الادباء وعندي ان مصدره قصيدة جبران خليل جبران التي سماها ( المواكب ) · والقصيدة طويلة ·· وجعل حديث ابن المدينة يختلف بالبحر والقافية عن حديث ابن الغابة وهكذا ترى ان هذه القصيدة ( المزدوجة ) إن صح ان نسميها هكذا ·· تستطيع ان تقول انها وسط بين المسرحية التمثيلية الشعرية وبين القصيدة العربية المألوفة · وقد نحت عاتكة وهبي الخزرجي هذا المنحى في قصيدتها الطويلة ( شهرزاد ) ونظم عبدالمجيد لطفي قصيدته (التائبه) على هذا النهج ايضا(٢٢) ·

وتناول التغير البحور والقوافي فنظم بعض الشعراء الشبان قصائد تحرروا فيها من القافية والبحور المعروفة وسموا هذا الضرب من الشعر « الشعر الحر » وهو الضرب الذي سماه المصريون « مجمّع البحور » أو « ملتقى البحور » ·

وقبل ان ناخذ في الحديث عن هذا الشعر الحر نقول ان أهل المهجر حملوا على الشعر العربي بثوبه القديم ·· ورأى الاستاذ ميخائيل نعيمة

---

(٢١) د ·عمر الدسوقي : في الادب الحديث · دار الكتاب العربي بيروت ، ١٩٦٦ جـ٢ ص ٥٤ وبعدها ·

(٢٢) د · جميل سعيد : المصدر نفسه ص ٦٥ ·

انه لم يعد ملائما للبيئة الاجتماعية الحضرية التي يعيش بها العرب الان في امريكا وفي القاهرة ودعا الى التحرر وحث عليه ، يقول : « اذا شق عليكم ان تودعوا بحور الشعر أفلا سبيل لكم ان تستغنوا عن علمي العروض والقوافي · وان لم يسهل عليكم ان تطرحوا الاوزان افلا طريقة نطرح بها عنا القافية · »(٢٣)

وكان هذا الذي نادى به الشعراء المجددون في البلدان العربية واخذ به بعض شعرائنا الشباب في العراق فطرحوا عناء البحور والقوافي عنهم · وممن نظم به بدر شاكر السياب وعبدالوهاب البياتي وبلند الحيدري ونازك الملائكة وغيرهم · وقد أكثرت الشاعرة نازك الملائكة منه في ديوانها الذي سمته ( شظايا ورماد ) ·

« ويبدو ان هذا ( الشعر الحر ) الذي يطرب له الغربيون لم يجد في نفوسنا ما يجده في نفوسهم · انهم يميلون الى غير ما نميل اليه من الاصوات والالحان وان شعراءهم يحبون الاصوات تمتزج وتتسق بنغم واحد ·· اما نحن فنرى شعراءنا يطربون لكل صوت من اصوات الطبيعة يسمعونه على انفراد ، يتحدثون عن حفيف الشجر ، وعن غناء البلبل ويتحدثون عن خرير الماء ، وقلما نجدهم يتحدثون عن هذه الاصوات مجتمعة ·واختتم كلمتي هذه فيالشعر الحر بأن اقول ان هذا الشعر الذي لايعجبنا الانقد يعجب الجيل القادم وحسبك ان الموشحات الاندلسيةالتي ظهرت فيالقرن الثالثللهجرة صدف عنها الناس اولالامر ثم استساغوها ولجّوا بها بعد عشرات السنين وربما كان شان الشعر الحر شانها ·· »(٢٤)

والباحثون يختلفون في تحديد مفهوم واضح المعالم لمعنى المعاصرة او العصرية في الشعر ، ولكنهم يتفقون على مظاهر معينة تجعل الشعر متصفا بسمات معينة تميزه عن التجارب الشعرية القديمة · وتتلخص هذه المظاهر الجديدة بالتجربة الجمالية ثم بارتباط الشاعر باحداث عصره وانفعاله بها والغوص في اعماقها ، ومن هنا ينبغي ان يكون عميق الثقافة ملما بجوانبها المختلفة لكي يفهم المجتمع الانساني الحديث ولكي يستوعب تطور الفكر عبر تاريخه الطويل ·

---

(٢٣) ميخائيل نعيمة : من بلاغة العرب في القرن العشرين ، بيروت ص ١٠٣ ·

(٢٤) الدكتور جميل سعيد : نفس المرجع ص ٩٨ وما بعدها ·

وهذه المتطلبات الثقافية هي التي تملي على الشاعر الخبرة الفنية الجديدة التي ستكون الاطار والشكل لمضامين شعره الجديد ·

وليس بالضرورة ان تفصل هذه الظواهر الجديدة الشاعر عن ماضيه وتراثه ولكنها في الواقع تؤكد ارتباط الحاضر بالماضي وهذه العلاقة من التفاعل والتجاذب والتصادم أحيانا هي الاساس الذي تقوم عليه تنقية التجارب السابقة والاستفادة منها من خلال المنظور العصري·

ويحاول الباحثون عندما يتحدثون عن الجديد أن يبرزوا موضوع المعركة بين الجديد والقديم ويبالغوا في تصادم الاثنين ويصفون الجديد بانه يحمل العداء للقديم الموروث · وهذا وهم أضاع الكثير من وقت النقاد ودارسي الادب العربي عموما · وقد أثار انتباهي لقاء اذاعي مع الشاعر المرحوم احمد رامي اجرته معه محطة اذاعة صوت امريكا باللغة العربية وكان قبل وفاته باسابيع قليلة ، واتذكر انه سئل عن رأيه في الجديد والقديم من الشعر ولا زلت اذكر أنه اجاب : « ان هذا الذي يثار انما هو سخف وعبث لان الشعر شعر سواء قاله الشاعر قبل الف عام او الذي ينظمه الان ولا عبرة بالاشكال وعوامل الزمن ، وانما العبرة بالاصالة والموهبة الشعرية ·

ويكفي ان نتذكر هنا كيف كانت المحاولات الاولى لهذه التجربة الجديدة فعلى الرغم من انها كانت تبدو للوهلة الاولى مغايرة الى حد ما لاطار الشعر القديم شكلا ومضمونا ولكنها ظلت بروحها قريبة من شعر الرومانسيين العرب الذين ساد شعرهم في العقد الثالث الى العقد الخامس من هذا القرن · « بل ان بعض رواد الحركة الشعرية الجديدة يحدثوننا عن تأثراتهم الاولى بشعر علي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وابراهيم ناجي وايليا ابو ماضي وبخاصة في العراق حيث ظهرت بواكير التجربة الجديدة في أواخر الاربعينات · صحيح ان التجربة اليوم قد نمت وتطورت عنها بالامس حتى اننا لا نكاد نحس في الدواوين الاخيرة اي نفس شعري لاولئك الرومانتيكيين ولكن هذا مرجعه الى التطور الطبيعي الذي أخذ مجراه مع الزمن »(٢٥) ·

---

(٢٥) د · عزالدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر ـ بيروت ١٩٦٦ ص ١٦ ·

## خلاصة :

الاتجاهات الادبية القائمة حاليا في العراق جاءت بها رياح التغيّر الذي شهده العالم منذ مطلع هذا القرن وبخاصة التأثر بالغرب ، وهذا التأثر كان واستمر شاملا تناول جميع الجوانب الادبية ويمكن اجمال الحال على الوجه التالي :

١ ـ حصل تأثر كبير بالمذاهب الادبية الغربية من رومانسية وواقعية ورمزية وسريالية ووجودية وغيرها ·

٢ ـ تأثرت الدراسات والنقد الادبي بخاصة بمناهج النقد والبحث الادبي الغربي وراحت تتقفى آثار الاوربيين ، وقد جاء التاثير اولا عن طريق مصر وجيل الرواد فيها امثال طه حسين والعقاد وسلامة موسى ومحمد مندور وغيرهم ·

٣ ـ لايمكن بأي حال اغفال دور المستشرقين في التغير الثقافي في العالم العربي عموما فهم اصحاب الدور الكبير في عمليات الاحياء والدراسات العلمية المنهجية في الادب العربي قديمه وحديثه ·

٤ ـ تتضح مظاهر هذه التغيرات بظهور فنون جديدة في الشعر وفي النثر · ففي الشعر ظهرت تيارات تحاكي الغرب وتتاثر ببعض ادبائه وحركاته وظهرت فنون جديدة ابرزها الشعر التمثيلي عند عاتكة وهبي الخزرجي وخالد الشواف وغيرهما ، كما ظهرت أشكال جديدة بهرت الكثير من الشعراء وبخاصة السياب ونازك الملائكة وعبدالوهاب البياتي ·
اما النثر فقد استحدثت فيه الرواية والقصة والمسرحية والمقالة وادب السيرة الذاتية ·

٥ ـ المردودات السلبية للاتصال هي الاندفاع نحو التقليد والمحاكاة واحيانا من غير هدف ولا وضوح في الرؤية ·
اما المردودات الحسنة فهي ظهور هذه الانواع الادبية الجديدة في القصة والرواية والمسرح وكذلك في النقد ·

٦ ـ ان الصراع بين القديم والجديد انتهى لصالح الجديد واستمر الجديد بالتطور كلما زاد الاتصال بالغرب ونلحظ هذا الصراع قويا ظاهرا في أعقاب الحرب العالمية الثانية ·

٧ ـ تتجاذب الادب العراقي المعاصر تيارات او ظواهر تبرز منها سمات الحزن والاغتراب وتجربة المدينة ونزعات درامية تحمل روح التصادم والتمرد ·